المحاضرة الخامسة : شبهات حول علوم القرآن القرآن الكريم

الآن سنقف وقفات مع شبهات هؤلاء المستشرقين التي دعتهم لمثل هذه الدعوى ونرد عليها بما يفتح الله علينا.

الشبهة الأولى: نزول القرآن الكريم

إن ما تسمونه معجزات من العلوم والمعارف التي اشتمل على مثلها القرآن ما هي إلا آثار لمواهب بعض النابغين من الناس وهذه المواهب وآثارها وجدت ويمكن أن توجد في كل أمة.

الجواب:أن مواهب النابغين ونبوغ الموهوبين له وسائل وعوامل وله أشباه معتادة ونظائر في كل أمة وجيل وفي كل عصر ومصر أما المعجزات فلن تجد لها من وسائل ولا عوامل ولن تستطيع أن تصل إلى أشباه معتادة لها ونظائر إلا إذا خرجنا عن نطاق الكون المعروف.

الشبهة الثانية:لو كان الوحي ممكنًا لأوحى الله إلى أفراد البشر عامة ولم يختص به شرذمة قليلين يجعلهم واسطة بينه وبين خلقه.

الجواب:أن عامة البشر ليس لديهم استعداد لتلقي الوحي عن الله لا مباشرة ولا بواسطة الملك لأنهم لن يستطيعوا رؤيته إلا إذا ظهر في صورة إنسان فقضت الحكمة أن يجعل الله من بني الإنسان طائفة لها استعداد خاص يؤهلها لأن تتلقى عن الله الوحي. وسلحهم بالآيات التي تطمئن الناس على أنهم رسل. واختصاص بعض الناس بالوحي والنبوة فيه نوع من الاختبار والابتلاء.

الشبهة الثالثة: يقولون إن محمدًا كان عصبيًّا حاد المزاج وكان مريضًا بما يسمونه (الهيستريا) فالوحي الذي كان يزعمه ما هو إلا أعراض لتلك الحال التي أصيب بها.

الجواب:أن هذه فرية تدل على جهلهم الفاضح بمحمد - صلى الله عليه وسلم - فالمعروف عنه بشهادة التاريخ الصحيح والأدلة القاطعة أنه كان وديعًا صبورًا حليمًا، شجاعًا مقدامًا، سليم الجسم صحيح البدن.

أما مرض (الهستيريا) الذي يقولون عنه فهو داء عصبي عضال أكثر إصاباته في النساء، وأعراضه معروفة، فهل يتفق هذا المرض مع ما هو معروف عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وقيادته لأمة أصبحت بعد قرن واحد من الزمان أمة الأمم وصاحبة العلم وربة السيف والقلم.

الشبهة الرابعة : يقولون إنكم تستدلون على الوحي بإعجاز القرآن وتستدلون على إعجاز القرآن بما فيه من أسرار البلاغة ونحن لا ندرك تلك الأسرار ولا نسلمها فلا نسلم الوحي المبني عليها.

الجواب: إن للقرآن نواحي أخرى في الإعجاز غير ما يحويه من أسرار البلاغة والبيان، منها ما يحويه من المعارف السامية والتعاليم العالية في العقائد والعبادات والتشريعات المدنية والجنائية والحربية والمالية،... وغيرها، وإذا ما قارنت بينها وبين ما يوجد على وجه الأرض من سائر التشريعات توضح ذلك الإعجاز الباهر وخصوصًا أنها جاءت من رجل أمي نشأ وعاش وشب وشاب وحي ومات بين أمة أمية كانت لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان. كذلك أنباء الغيب التي تحدث بها القرآن

من الفتوحات والانتصارات التي بشر بها المسلمون وقد تحققت كلها، وكذلك تحديه اليهود بأن يتمنوا الموت وهو أمر خاص بهم. ومع ذلك لم يستطيعوا.. كل ذلك يدل على إعجازه.

ثانيا : أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن:

الشبهة الأولى :قالوا: لماذا لا تكون آية المائدة آخر ما نزل من القرآن؟ وهي قوله سبحانه: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا) [المائدة: ٣]، مع أنها صريحة في أنها إعلام بإكمال الله لدينه في ذلك اليوم المشهود الذي نزلت فيه وهو يوم عرفة في حجة الوداع بالسنة العاشرة من الهجرة. والظاهر أن إكمال دينه لا يكون إلا بإكمال نزول القرآن وإتمام جميع الفرائض والأحكام.

الجواب: إن هناك قرينة تمنعنا من هذا الفهم وهي أن هناك قرآنًا نزل بعد الآية السابقة حتى بأكثر من

شهرين وأن النبي عاش بعدها تسع ليال فقط. وقيل الأقرب أن يكون معنى إكمال الدين هو إنجاحه

وإقراره على الدين كله ولو كره الكافرون.

ثالثا :نزول القرآن على سبعة أحرف:

الشبهة الأولى:يقولون إن أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف تثبت الاختلاف في القرآن مع أن

القرآن نفسه يرفع الاختلاف عن نفسه إذ يقول: (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ

لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا) [النساء: ٨٢]، وذلك تناقض ولا ندري أيهما يكون الصادق.

الجواب:إن الاختلاف الذي تثبته تلك الأحاديث غير الاختلاف الذي ينفيه القرآن، فالأحاديث

الشريفة تثبت الاختلاف بمعنى التنويع في طرق أداء القرآن والنطق بألفاظه في دائرة محدودة لا تعدو

سبعة أحرف وبشرط التلقي فيها كلها عن النبي. أما القرآن فينفي الاختلاف بمعنى التناقض والتدافع

بين معاني القرآن وتعاليمه مع ثبوت التنويع في وجوه التلفظ والأداء السابق.

الشبهة الثانية:إن هذا الاختلاف في القراءات يوقع في شك وريب من القرآن خصوصًا إذا لاحظنا في بعض الروايات معنى تخيير الشخص أن يأتي من عنده باللفظ وما يرادفه. أو باللفظ وما لا يضاده في المعنى.

الجواب:إن اختلاف القراءات لا يوقع في شك ولا ريب ما دام الكل نازلًا من عند الله، وأما هذه الروايات التي اعتمدت عليها الشبهة فلا نسلم أنه يفهم منها معنى تخيير الشخص أن يأتي من تلقاء نفسه باللفظ وما يرادفه بل قصارى ما تدل عليه هذه الروايات أن الله تعالى وسع على عباده خصوصًا في مبدأ عهدهم بالوحي أن يقرءوا القرآن بما تلين به ألسنتهم، وكان من جملة هذه التوسعة القراءة بمترادفات من اللفظ الواحد للمعنى الواحد مع ملاحظة أن الجميع نازل من عند الله. يدل على ذلك

قوله صلى الله عليه وسلم: «هكذا أنزلت». وقوله تعالى لرسوله جوابًا لمن سأله بتبديل القرآن: (قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) [يونس: ١٥].

شبهاتهم حول نص القرآن الكريم : تعريف القرآن الكريم :

شبه المستشرقين حول الوحي : موثوقية النص القرآني وشبههم حوله

تعريف القرآن الكريم :

جاء تعريفه في دائرة المعارف البريطانية : (القرآن هو كتاب المسلمين المقدس ، ويعده المؤمنون كلمة الحق من ربهم ، وأنه كتاب أوحي به إلى النبي ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ وجمع في كتاب بعد مماته ، ويعتقدون أنه كتاب أزلي ، وأنه أوجد في اللوح المحفوظ ، ومن المحتمل أن كلمة قرآن مشتقة من كلمة قرأ وهي كلمة سريانية في أصلها وفي قريانة أي القراءة كانت تستعمل في الكنيسة السريانية.

إلى أن قالت الموسوعة : .. وأنه لا مجال لتقليده ، حيث إن هذا هو الجنون بعينه)(١).

تعليق :هذا التعريف الذي ذكرته الموسوعة فيه أمور لا بد من الوقوف عندها :

فالأمر الأول : زعمهم أن القرآن جمع بعد ممات الرسول ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ وهذه المسألة قد تحدثت عنها بتوسع في موضوع الجمع في العهد الأول في حياة رسول الله ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ.

---

(١) قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية ص ٢٣ ، وانظر أسرار القرآن ص ٥.

أما الأمر الثاني :فزعمهم أن أصل كلمة قرآن من مصدر سرياني وسأتحدث عن هذه المسألة في موضوع التعريب إن شاء الله.

أما الأمر الثالث :زعم «جرجس سال» أن كلمة قرآن من تأثير اليهود على المسلمين لأنهم يطلقون قراه أو مقرأة على التوراة وهذا الأمر قد رددت عليه كذلك في فصل المصادر.

أما القرآن الكريم فتعريفه عندنا معشر المسلمين :

(كلام الله ـ عزوجل ـ المعجز ، المتعبد بتلاوته ، المنزل على خاتم أنبيائه محمد ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ بلفظه ومعناه ، المنقول بالتواتر المفيد للقطع والتعيين ، المكتوب بين دفتي المصحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس).

أما الأمر الرابع :اعتراف المستشرقين بعدم إمكانية محاكاة القرآن والإتيان بمثله ، وهذا أمر يعتبر مما وقفت له دائرة المعارف البريطانية.

فالله سبحانه قد جعل هذا القرآن معجزة نبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ التي يمتنع على أحد من خلقه تقليده أو الإتيان بمثله أو بمثل جزء منه قال تعالى : (فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ)(١) وقال تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ)(٢) وقال سبحانه : (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ)(٣) ولكن الله سبحانه أثبت حقيقة حالهم أنهم

---

(١) سورة الطور : ٣٤.
(٢) سورة هود : ١٣.
(٣) سورة البقرة : ٢٣.

لا يستطيعون ولو اجتمع إنسهم وجنهم على هذا الأمر قال سبحانه : (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)(١) وقد استعمل القرآن ضدهم كل أنواع التحدي ، من إغراء واستفزاز وغير ذلك ؛ ليبذلوا ما شاءوا من محاولات وليبذلوا قصارى جهدهم ولكنهم عجزوا فبانت قدرته سبحانه وبان عجز المخلوقين وظهر أن القرآن كلامه وحده دون سواه لا كما يزعم بعض هؤلاء المستشرقين الذين يعتبرونه كلام بشر سواء جعلوه من صنع محمد نفسه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أو من كلام سواه.

المبحث الثاني :شبه المستشرقين حول الوحي :

المسألة الأولى : تعريف الوحي لغة واصطلاحا :

الوحي في اللغة : تقول وحيت إليه وأوحيت إذا كلمته بما تخفيه عن غيره. وأصله الإشارة السريعة.

وقد يكون على سبيل الرمز والتعريض ، وقد يكون بصوت مجرد ، أو بإشارة بعض الجوارح (١).

فيكون معناه اللغوي : الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى عن غيره.

أما شرعا : كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه (٢) إما بكتاب ، أو برسالة ملك في منام أو إلهام.

المسألة الثانية :أنواع الوحي :

حاول المستشرقون في موسوعتهم أن يبينوا كيفية نزول القرآن على سيدنا محمد ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ بقولهم : [إن طريقة نزول القرآن على محمد قد ذكرت في القرآن ، فمنها : أن الله خاطب محمدا بشكل إيحائي ومن وراء حجاب أو بوساطة مراسل على صورة ملاك. ولهذا جاءت كلمة وحي لتدل على إيحاء من الله لرسوله على غرار الأنبياء الذين أوحى لهم. كما أن القرآن يستعمل اصطلاحا بأن القرآن نزل على الرسول ، فهذه الطريقة تدل على نوع من الخيال دون أن يكون هنالك صورة مرافقة لتوصيل هذا الخيال.

---

(١) انظر المفردات في غريب القرآن ـ للراغب الأصفهاني ص ٥١٥.

(٢) انظر مباحث في علوم القرآن ص ٣٢ وما بعدها.

(٣) إرشاد الساري لشرح البخاري ١ / ٤٨ كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ.

وأما الطريقة الثالثة في إيصال القرآن للنبي فهي عن طريق ملاك دون أن تذكر أن اسمه كان جبرائيل](١).
هكذا نلاحظ أن الموسوعة البريطانية قد أخطأت في تصورها لأنواع الوحي الذي نزل على محمد ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ وهذا الخطأ يبدو لي ناتج عن سوء فهمهم لتفسير قوله تعالى : (وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ)(٢).
وتفسير الآية : يبين الله سبحانه وتعالى أن تكليمه لأنبيائه ـ عليهم‌السلام ـ وتبليغ هؤلاء الرسل رسالات الله لا يخرج عن واحدة من طرق ثلاثة :

الطريقة الأولى : طريق الوحي والمقصود هنا إلهاما وقذفا في القلب منه بلا واسطة. وهو أن يلقي سبحانه في قلب نبيه الذي اختاره من خلقه ما يشاء من الأحكام والمعاني.

الطريقة الثانية :
التكليم من وراء حجاب دون أن يراه كما كلم موسى ـ عليه‌السلام ـ وتتمثل هذه الطريقة بسماع النبي المرسل صوتا دون أن يرى صاحب هذا الصوت ، فيسمع النبي المرسل هذا الكلام ، كلام الله عزوجل من وراء جبل أو شجر أو شيء آخر وذلك ما كان لموسى ـ عليه‌السلام ـ ولهذا سمي موسى كليم الله. وجاء هذا المعنى صريحا ـ في كتاب الله عزوجل بقوله : (وَكَلَّمَ اللهُ مُوسى تَكْلِيماً)(١).

الطريقة الثالثة : إرسال الرسول من الملائكة كجبريل ـ عليه‌السلام ـ لأحد من خلقه فيوحي ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن ربه ما يشاء إيحاءه ، من أمر ونهي وغير ذلك (٢).

---

(١) انظر كتاب قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية ـ د / فضل عباس ص ١٧٢.
(٢) انظر سورة الشورى آية : ٥١.

المسألة الثالثة :النظرة النصرانية للوحي :

إن نظرية الوحي عند النصرانية تتصل اتصالا وثيقا بنظرة المستشرقين إلى وحي القرآن وهي أساس الشبهات التي يثيرونها حول الوحي القرآني فالمراد بالوحي عند النصارى هو إظهار الحقائق الغير ممكن معرفتها بالقوى الطبيعية أما ما يمكن للعقل أن يصل إليه فيسمى إلهاما.

فقول النصارى هذه كلمة الله أو منزل من الله ، أو من عند الله أي أن الله سبحانه هو المؤلف السامي له باختيار مواضيعه ومعانيه ، وإلهام ناقليه وتحريكهم على كتابته بالنوع الذي أراده وعصمته إياهم عن الخطأ في غضون تسطيرها من أولها إلى ختامها. والمعنى أن الله سبحانه إذا أراد كتابة شيء من أسراره حرك كاتبا يختاره فيحثه على كتابة السفر المقصود ثم يمده بنفحته ويلهمه اختيار الحوادث والظروف والأعمال والأقوال التي شاء سبحانه بتبليغها لفائدة عباده (١) قال «جورج بوست» في كتابه (قاموس الكتاب المقدس) : [هو حلول روح الله في الكتاب الملهمين لاطلاعهم على الحقائق الروحية والأخبار الغيبية ، من غير أن يفقد هؤلاء الكتاب بالوحي شيئا من شخصياتهم فلكل منهم نمطه في التأليف وأسلوبه في التعبير](٢).

---

(١) انظر القرآن والمستشرقون ص ٣٥ ـ ٣٨.
(٢) مباحث في علوم القرآن ـ صبحي الصالح ص ٢٥.
(٣) انظر القرآن والمستشرقون ص ٣٨.

المسألة الرابعة : الوحي في أسفار العهد القديم :

تعد أسفار العهد القديم عن الوحي «بكلام الرب» وقد تعبر بلفظة الوحي عن «الرؤيا» كقوله مثلا : (وكلم الرب موسى قائلا) (٢) وقوله في سفر ملاخي (الوحي الذي رآه حبقوق النبي).

من هذا يتضح أن أنبياء بني إسرائيل كانوا يتلقون الكلام الإلهي إما مباشرة من الله سبحانه ، أو عن طريق (رجل الرب) ، أو عن طريق الرؤيا.

ومن هنا تختلف نظرية الوحي في الإسلام عنها في اليهودية والنصرانية حيث لا مجال عندهما لاتصال روحي بين الملأ الأعلى وبين رسل الله ، ولذلك جاءت تصوراتهم عن الوحي في قالب كلام مباشر من الرب إلى الأنبياء وهم يتصورون الرب في صورة إنسان أو يلهمهم إلهاما عن طريق تأثير قوة فوق الطبيعة ولكن التصور الإسلامي عن الوحي مختلف عن تصوراتهم تمام الاختلاف فهو يرد عن طرق عدة وهي :

---

(١) مباحث في علوم القرآن ـ صبحي الصالح ص ٢٦.

(٢) سفر التكوين ٦ / ٣ ـ ٢٣ ، الإصحاح ٧ / ٣ ـ ٥ ، الإصحاح ١٢ / ١ ـ ٤.

١ ـ الرؤيا الصادقة :

وهي أول مرتبة من مراتب الوحي وأول ما نزل به القرآن ، وقد كانت هذه الرؤيا توجب التكليف أحيانا كما جاء في قصة الخليل ـ عليه‌السلام ـ في قصة الفداء ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : «كان أول ما بدئ به رسول الله ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح» (١).

٢ ـ ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه :

وهذه المرتبة هي الثانية من مراتب الوحي وهي ما كان ينفثه الملك في روع الرسول بأمر الله تعالى ، فكان بذلك وحيا ، منه قوله ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ : «إن روح القدس نفث في روعي لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها» (٢).

٣ ـ مخاطبة الملك :

وهي المرتبة الثالثة فقد كان يتمثل له رجلا على صورة دحية الكلبي وغيره فيخاطبه حتى يعي ما يقول له. من ذلك حديث عمر الطويل (٣).

---

(١) صحيح مسلم ـ كتاب الإيمان ج ١ / ١٣٩ ـ ١٤٠ (طبعة دار الفكر) بيروت.
(٢) انظر الفتح الكبير ـ للسيوطي ١ / ٣٩٣ ونسبه لأبي نعيم في حلية الأولياء وانظر كشف الخفاء ١ / ٢٣١.
(٣) صحيح البخاري ١ / ١٨ كتاب الإيمان باب ٣٧ ، سؤال جبريل النبي ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ عن الإسلام والإيمان والإحسان .. إلخ.

المسألة الخامسة : الشبه على ظاهرة الوحي

عجزت عقول المستشرقين ومختبراتهم العلمية أن توصلهم إلى كنه ظاهرة الوحي. فاختلفوا في هذه الظاهرة على أقوال متباينة مجافية للحق ، مجانبة للصواب ، وكل ذلك سببه تصورهم ظاهرة الوحي في النصرانية وقياس ظاهرة الوحي في الإسلام عليها.

وسأجمل أقوالهم في ظاهرة الوحي في نقاط محدودة.

١ ـ الوحي النفسي ، والإلهام السمعي.

٢ ـ بتأثير انفعالات عاطفية.

٣ ـ لأسباب طبيعية عادية كباعثة النوم (التنويم الذاتي).

٤ ـ تجربة ذهنية فكرية.

٥ ـ كحالة الكهنة والمنجمين.

٦ ـ حالة صرع وهستيريا.

وغير ذلك من الأقوال التي فاقت سذاجة الجاهلين الأوائل.

---

(١) سورة الشورى : ٥١.

الشبهة الأولى :

الوحي النفسي :قالوا : نحن لا نشك في صدق محمد في خبره عما رأى وسمع ولا نشك في كونه مصلحا اجتماعيا ، وعبقريا فذا ، وإنما نقول أن منبع ذلك إلهام من نفسه وليس فيه شيء جاء من عالم الغيب الذي يقال : إنه وراء عالم المادة والطبيعة الذي يعرفه جميع الناس. فإن هذا الغيب شيء لم يثبت عندنا وجوده ، كما أنه لم يثبت عندنا ما ينفيه ، ويلحقه بالمحال.

الجواب :لما كان الوحي هو الأساس الذي يترتب عليه جميع حقائق الإسلام بعقائده وتشريعاته ، وهو المدخل للتصديق بكل ما جاء به الرسول ـ صلىاللهعليهوسلم ـ من إخبارات غيبية وأوامر تشريعية من أجل هذا وغيره اهتم أعداء الإسلام بالتلبيس والتشكيك في حقيقة الوحي الإلهي ليشككوا المسلمين في دينهم ويحولوا بين غير المسلمين وخاصة الأوربيين وبين الإسلام (١) ، لذا زعموا أن الوحي ناتج عن سبب من هذه الأسباب التي لخصناها من الشبه آنفة الذكر.

وقد قامت الأدلة النقلية والعقلية على بطلان هذه المزاعم. فمن الأدلة النقلية :

١ ـ قوله تعالى : (وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى)(٢). وقال تعالى : (إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ)(٣).

٢ ـ ووصفه ـ صلىاللهعليهوسلم ـ لكيفية إتيان الوحي إليه. كما ورد في حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ عند ما سأله الحارث بن هشام : «أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول ..» الحديث (٤).

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : «أول ما بدئ به رسول الله ـ صلىاللهعليهوسلم ـ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ..» الحديث (٥).

أما الأدلة العقلية فكثيرة كذلك. ولكني سأقتصر على رد عام على فريتهم هذه.

فالمستشرقون بنوا هذه الشبهة على مقدمات مبناها أن فكرة الوحي تكونت نتيجة تشبع العقل الباطن بما في البيئة من ثقافات وعقائد وغير ذلك مما جعل نفسه الصافية تفيض بما فيها من ذخائر وقد فصلت القول في كل ما زعموه كركائز للوحي النفسي من ثقافة يهودية ونصرانية ووثنية ومجوسية وزرادشتية وغير ذلك في فصل المصادر المزعومة للقرآن الكريم فليرجع إليها هناك.

وعلى إثر سقوط هذه المقدمات تسقط النتيجة التي توصلوا لها في تفسير ظاهرة الوحي أنها (وحي نفسي) أو ناتج عن رياضات روحية وتفكير طويل كإلهام الواصلين ، وكشف العارفين (١).

ولكن لا بد من كلمة عامة على هذه الشبهة ، فالناظر لهذا الدين وحقيقته يجده فريدا متميزا صافيا بكل ما جاء به من عقائد وشرائع عما كان موجودا في وسطه الذي كان يعيش فيه ـ عليه الصلاة والسلام

فقد جاء هذا الدين عاما شاملا لكل نواحي الحياة ، سهلا في عبادته ، دقيقا في معاملاته ، رادعا في حدوده ، فذا في نظمه الاقتصادية والسياسية وغيرها ، عظيما في أخلاقه وآدابه ، إلى غير ذلك من المزايا والفضائل أكل هذه العقائد والنظم

والتشريعات كانت مذكورة مدخرة في نفس محمد ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ ابن البيئة المختلفة العقائد ، والفقيرة الموارد ، المختلفة الأنظمة ، المضطربة الأخلاق والآداب؟.

فهذا الإسلام بعظمته ، والقرآن بربانيته يبطل كل هذه المزاعم ، والعلم يكشف كل يوم لنا من أسرار آياته في الأنفس والآفاق مما يؤكد أنه من تنزيل إلهي ، وليس فيه أدنى شيء لعقل بشري ، لأنه أعجز من أن يؤلف شيئا من مثل آياته فكيف تأتي هذه الفرية لتزعم أن هذا القرآن فيض بشري ووحي نفسي لمحمد ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ.

---

(١) مباحث في علوم القرآن ـ صبحي الصالح ص ٢٦.

وقد كان الوحي يفتر عنه فترات وهو بأشد الحاجة إليه ولا يجد جوابا لما سألوه ، أو بما تحدوه. كما أن الوحي ليس إلهاما فقط بل هو إخبار من الله سبحانه لنبيه ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ بواسطة أو بدون واسطة ، ويكون قلبيا أو قلبيا وسمعيا ، أو قلبيا وسمعيا وبصريا.

---

(١) انظر توثيق نص القرآن الكريم ـ خالد عبد الرحمن العك ص ٢٧ ـ ٢٨.
(٢) سورة النجم ٣ ـ ٤.
(٣) سورة النساء : ١٦٣.
(٤) انظر صحيح البخاري كتاب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ، بشرح إرشاد الساري.
(٥) نفس المرجع ١ / ٦١.
(٦) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٩٩ ـ ١٠٠.

الشبهة الثانية :

زعم نولديكه أن ظاهرة الوحي كانت بسبب تأثير النوبات الانفعالية الطاغية التي كانت تسيطر عليه مما كان يدعو محمدا ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ إلى الشعور بأنه تحت تأثيرات إلهية (٢) حيث قال :

[كانت نبوة محمد نابعة من الخيالات المتهيجة والإلهامات المباشرة للحس أكثر من أن تأتي من التفكير النابع من العقل الناضج. فلو لا ذكاؤه الكبير لما استطاع الارتقاء على خصومه .. مع هذا كان يعتقد أن مشاعره الداخلية قادمة من الله بدون مناقشة](٣).

الجواب :

هذه الشبهة لها قرب من الشبهة الأولى وتدل على تجن ، وسوء فهم واضح ،

---

(١) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ١٠٣ ، انظر الوحي المحمدي لمحمد رشيد رضا ص ٨٩ ـ ٩٤.

(٢) انظر مقدمة القرآن ـ واط ص ١٨.

(٣) تاريخ القرآن ـ نولديكه ١ / ٥.

ويرد ذلك الوقوف على سيرته ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ وعلى كيفية نزول الوحي عليه.
فالواقف على ذلك يجد أن الوحي كان يأتي رسول الله ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ في أوقات عدة وبأشكال مختلفة فقد كان يأتيه في ظروف اعتيادية ، ويقطعه في ظروف عصيبة وهو بأشد الحاجة إليه. فكل ذلك يدل على أن الوحي خارج عن ذاته وليس له فيه أدنى تدخل. فها هم المنافقون يخوضون في عرضه الشريف في قصة الإفك التي افتريت ضد زوجته المصون ويشتد الأمر عليه ويتمنى لو يجد شيئا يقوله ليبرئ زوجته أو يثبت ما يقولونه فيرتاح مما هو فيه ولكن الأمر ليس بيده ، ولم يستطع أن يقول شيئا حتى نزل من صاحب هذا القرآن وهو الله سبحانه ما يبرئ هذه الزوجة الطاهرة النقية ويرد كيد المنافقين.
وما حصل معه في سؤال المشركين له عن ثلاثة الأسئلة المذكورة في قصة أهل الكهف وقد ذكرت القصة بطولها أثناء ردي على الشبهة الأولى مما بينت أن الرسول ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ لم يستطع أن يأتيهم بجواب حتى خاض المشركون في أمر الرسول ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ ما طاب لهم من قول حتى نزلت الإجابة من السماء.
كل ذلك يؤكد أن الوحي أمر خارج عن إرادة نبينا محمد ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ ويخاطبه بصوت قوي يشبه صوت الجرس يفهمه هو دون غيره.
الشبهة الثالثة : زعم بعضهم أن منشأ الوحي من أسباب طبيعية عادية كباعثة النوم أو ما سماه «واط» (التنويم الذاتي) (١).

---

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ١ / ٥٨ ـ ٦٠.

الجواب :

هذه فرية من جملة مفترياتهم حيث إن البعد شاسع بين الوحي وبين عارض السبات الطبيعي الذي يعتري المرء حيث إن ظاهرة الوحي كانت تعتريه قائما أو قاعدا ، أو سائرا ، أو راكبا ، وبكرة أو عشيا ، ليلا أو نهارا ، وفي أثناء حديثه مع أصحابه أو مع أعدائه ، وكانت تعتريه فجأة وتزول عنه فجأة ، وتنقضي عنه أحيانا في لحظات يسيرة لا بالتدريج الذي يعرض للوسنان. وكانت تصاحبها تلك الأصوات الغريبة التي تشبه صلصة الجرس والتي لا تسمع عند النوم وغيره. فمن هنا يظهر أنها كانت تباين حال النائم في كل أوضاعها وأوقاتها وأشكالها. فقد صور لنا الإمام البخاري ـ رحمه‌الله تعالى ـ بسنده إلى رسول الله ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ صورة من هذه الصور عند ما طلب يعلى من عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ أن يريه النبي ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ حين يوحى إليه.
قال الإمام البخاري : فبينما النبي ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ بالجعرانة ومعه نفر من أصحابه جاءه رجل فقال : يا رسول الله كيف ترى في رجل أحرم بعمرة وهو متضمخ بطيب؟ فسكت النبي ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ ساعة فجاءه الوحي ، فأشار عمر ـ رضي الله عنه ـ إلى يعلى ، وعلى رسول الله ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ ثوب قد أظل به فأدخل رأسه فإذا رسول الله ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ محمر الوجه ، وهو يغط. ثم سري عنه.

فقال : أين الذي سأل عن العمرة؟ فأتي برجل فقال : اغسل الطيب الذي بك ثلاث مرات ، وانزع عنك الجبة ، واصنع في عمرتك كما تصنع في حجتك (٢).
فهذا يبين أن ظاهرة الوحى ليس لها تحضير مسبق من قبل رسول الله ـ صلى‌الله‌عليه‌وسلم ـ كما زعم ذلك «واط» بل هي ظاهرة خارجة عن ذاته الشريف وبغير

---

(١) وحي الله ـ د / حسن عتر ص ١٤١.
(٢) انظر صحيح البخاري ، كتاب الحج ـ باب غسل الخلوق من الثياب انظر إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٣ / ١٠٤ ـ ١٠٥.